Journal of Arabic Language and Literature
Volume (1), Issue (3) : 30 Jun 2022
P: 73 - 84
ISSN: 2790-7317
مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (3) : 30 يونيو 2022 م
ص: 73 - 84

The Art of Lamentation between Originality and Renewal in Nigerian Arabic Poetry

Abubakar Adamu Masama
Department of Arabic || Federal University Gusau || Nigeria
Dayyib Zayid Rabih
Department of Arabic || University of Bart Arruda || Sudan

Abstract: Lamentation is one of the prominent topics in the ancient Nigerian Arabic poetry, which existed in Nigeria before the twentieth century AD, and that the poet Ibrahim Jalo Muhammad Jalingo is one of the stallions of contemporary Nigerian Arabic poetry and its great poles, and he is among those who success in the field of renewal in the poetry of Nigerian Arabic Elegy, from this point of view This research is an analytical literary study that aims to shed light on images of the trends of renewal and development in the elegies of the Nigerian poet Ibrahim Jalo Muhammad Jalingo, so the research contains the following elements:

- A brief history of the poet's life.
- Pictures of lament poetry in ancient Nigerian Arabic literature.
- Pictures from the features of renewal in the elegies of the poet Ibrahim Jalo Muhammad Jalingo.
- Conclusion.

Keywords: originality, renewal, art of lamentation, Nigeria.

فن الرثاء بين الأصالة والتجديد في الشعر العربي النيجيري

أبوبكر آدم مساما
قسم اللغة العربية || الجامعة الفيدرالية غسو || نيجيريا
الطيب زايد رابح
قسم اللغة العربية || جامعة بخت الرضا || جمهورية السودان

المستخلص: يعد الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي النيجيري القديم والتي كانت موجودة فيه قبل القرن العشرين الميلادي، وأن الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو من فحول الشعر العربي النيجيري المعاصر وأقطابه الكبرى، وممن كتب لهم التوفيق في مجال التجديد في شعر الرثاء العربي النيجيري، ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث عبارة عن دراسة أدبية تحليلية تهدف إلى إلقاء الضوء على صور من اتجاهات التجديد والتطور في مراثي الشاعر النيجيري إبراهيم جالو محمد جالنغو، فعقد الباحثان خطة البحث على العناصر التالية:

- نبذة تاريخية عن حياة الشاعر.
- صور من شعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم.
- صور من ملامح التجديد في مراثي الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو.
- الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الأصالة، التجديد، فن الرثاء، نيجيريا.

المقدمة.

من المؤكد أن الشعر العربي النيجيري القديم له صلة متينة ووطيدة بالشعر الجاهلي، لا من حيث الأسلوب والأخيلة والصور فحسب، بل من حيث الموضوعات والأغراض كذلك، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تأثر هؤلاء الشعراء القدامى بقصائد شعراء الجاهلية. وقد درج الباحثون المعاصرون على وصف الشعر العربي النيجيري في القرن التاسع عشر الميلادي بأنه امتداد للشعر الجاهلي إذ لم يتغير إلا تغيرا طفيفا وجزئيا اقتضته طبيعة التغير الذي حدث في العقيدة. صار الشعر العربي النيجيري على هذا النهج المعروف حتى أوائل القرن العشرين الميلادي إلا أنه تأثر بالظروف التي طرأت على نيجيريا إثر استيلاء المستعمرين عليها.

وقد أدت تلك المؤثرات وغيرها إلى حدوث بعض التغيرات الملموسة في الشعر العربي النيجيري والتي يمكن عدها نوعا من التجديد فيه. فالشاعر العربي النيجيري المعاصر مع احتفاظه في شعره بالأصول التقليدية لم يمنعه من إدخال عناصر تجديدية في شعره فهو يخوض فيما خاض فيه معاصروه ويواصل الخطى معهم في ميادين التطور الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي، وللكشف عن الاتجاهات التجديدية التي تطرق إليها الشاعر إبراهيم جالو محمد في مراثيه والتبصير بها عقد الباحثان هذا البحث.

أساسيات البحث:

أ- مشكلة البحث:

مشكلة هذا البحث عبارة عن إبراز مقدرة الدكتور إبراهيم جالو جالنغو الشاعر العربي النيجيري المعاصر في إبداع شعر الرثاء، والوقوف على ما أضافه الشاعر في هذا الفن من اتجاهات تجديدية.

ب- فرضيات البحث:

وتظهر فرضيات هذه الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التي كانت المنطلق الأساس لفكرة البحث:

1. كيف كان شعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم؟
2. هل الشاعر إبراهيم جالو من الشعراء المقلدين في فن الرثاء؟
3. ما مدى جمال تلك العناصر التجديدية الواردة في مراثي الشاعر؟

ج- أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مقدرة الشاعر التجديدية وإبداعه الفني من الدائرة الإقليمية إلى العالمية.

د- أهمية البحث:

أن البحث دراسة أدبية تحليلية لعناصر التجديد في مراثي الشاعر إبراهيم جالو من شأنها، ومن أهميتها أنها تساعد القارئ في إدراك ما حدث في هذا من العناصر التجديدية لدى شعراء نيجيريا المحدثين.

هـ- حدود البحث:

دراسة أدبية تحليلية لقصائد الرثاء في ديوان الدكتور إبراهيم جالو محمد جالنغو، مع العناية خاصة بجانب التقليد والتجديد فيها.

و- منهجية البحث:

كما هو المعلوم لدى الباحثين والكتاب أنه من الواجب استخدام منهج مناسب لكل بحث علمي، وعلى هذا الأساس نستخدم في إجراء هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي، نظرا لموضوع دراستنا.

ز- هيكل البحث:

أما عن خطة البحث فتشمل ما يلي من العناصر:

- المقدمة: وتضمنت ما سبق.
- المبحث الأول: نبذة تاريخية عن حياة الشاعر.
- المبحث الثاني- صور من شعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم.
- المبحث الثالث- ملامح التطور والتجديد في مراثي الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو.
- الخاتمة. خلاصة بأهم النتائج، قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول- نبذة تاريخية عن حياة الشاعر جالو:

الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو من مواليد عام 1380هـ الموافق لعام 1960م. ولد في قرية جَشِّ-مورِي في حكومة محلية كَرِمْ لاميطو ولاية ترابا شمال نيجيريا، انتسب من جهة والديه إلى قبيلتين مشهورتين في كانم برنو وبلاد هوسا في نيجيريا، (الكانورية والفلاتية)، ونشأ في أسرة علمية متدينة، تهتم بقراءة القرآن الكريم وحفظه، شغوف بالعلم حريص على التحصيل، فبدأ تعلمه على يد والده منذ نعومة أظفاره، وواصل في الدراسة والتحصيل حتى استقى من ينابيع مشاهير العلماء والجهابذة، ومناهلهم العذبة الفياضة، وارتوى من بحور معارفهم الضخمة العميقة، وهو حريص جدا على التمسك بصناعة طيبة يعيش عليها، ليتعفف عن سؤل الناس، وتزوج منذ فجر بلوغه، ورزقه الله تعالى أولادا ذكورا وإناثا، وقد اصطفاه الله سبحانه وتعالى وخصه بأخلاق وشمائل حميدة فاضلة اكتسب بها ثناء طيبا من كثير من أهل العلم والصلاح، وقد قضى جل عمره- ولا يزال – في الدعوة والإرشاد ونشر الثقافة العربية الإسلامية، حتى تخّرج في مركزه عدد لا يستهان به من الطلاب في شتى الميادين العلمية، ولقد شارك ولا يزال يشارك في حركة الإنتاج والتأليف، فأنتج إنتاجات عديدة شعرا ونثرا.1

المبحث الثاني- صور من شعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم.

يعد شعر الرثاء من أهم الفنون الشعرية المتداولة بين الشعراء في نيجيريا، وقد كثر هذا الفن في الشعر العربي النيجيري القديم كثرة تكاد تفوق سائر الأغراض الشعرية، فلا يموت عالم رباني أو أمير مشهور أو طالب متحمس أو زميل متفطن أو شهيد محتسب إلا أطلق الشعراء ألسنتهم، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الفقيد.2 إلا أن الرثاء في تلك الفترة لا يخرج عن كونه رثاء تقليديا على نهج ما سار عليه الشعراء في صدر الإسلام حيث نجد الشاعر يعدد محاسن الفقيد ومكارم أخلاقه من تقوى وجود وشجاعة وما إلى ذلك من الفضائل النفسية، ويظهر الشاعر كذلك حزنه على فضائل أفتقدت بغيبة المرثى.

ويمتاز الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم بالاتجاه الديني، كما صرح بذلك بعض النقاد: "أنه قد خيم على شعر خلافة سكوتو في الرثاء جو من الزهد في الدنيا، وذكر الآخرة."3

---

(1) - مساما أبوبكر آدم (الدكتور)، **الدكتور إبراهيم جالو محمد جالنغو وديوانه لسان الشعب**، مطبعة millennium printing technology, emir yahaya sokoto، الطبعة الثانية 2017. ص: 4 -40

(2) - أحمد سعيد غلادنثي، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، دار المعارف مصر، 1982. ص: 112

(3) - بابكر قدر ماري (الدكتور)، **شعر الرثاء في سكوتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، دار الأمة للنشر والتوزيع كنو – نيجيريا، 2010م. ص:3

المبحث الثالث- صور من ملامح التجديد في مراثي الشاعر جالو.

صار الشعر العربي النيجيري على منهجه التقليدي حتى أوائل القرن لعشرين الميلادي إلا أنه تأثر بالظروف التي طرأت على نيجيريا إثر استيلاء المستعمرين عليها. ومن أهم تلك الظروف: تأسيس المدارس العربية الدينية، وإرسال البعثات إلى دول العرب وغيرها لدراسة المواد العربية، وورود كتب عديدة مطبوعة إلى المنطقة.4

وقد أدت تلك المؤثرات وغيرها إلى حدوث بعض التغيرات الملموسة في الشعر العربي النيجيري والتي يمكن عدّها نوعا من التجديد والتطور فيه. فالشاعر العربي النيجيري المعاصر مع احتفاظه في شعره بالأصول التقليدية لم يمنعه من إدخال عناصر تجديدية في شعره، فهو يخوض فيما خاض فيه معاصروه ويواصل الخطى معهم في ميادين التطور الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي، وللكشف عن الاتجاهات التجديدية التي تطرق إليها الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو في مراثيه والتبصير بها عقد الباحثان هذا المبحث.

وقد يعدّ إكثار الحزن وإراقة الدموع والإطالة فيه وتعظيم الخطب لفقد الميت من خصائص المراثي الجديدة التي ظهرت في الشعر العربي النيجيري المعاصر. إذ لم تكن الحال في الغالب كذلك في الماضي.5

وليس هذا فحسب هو الشيء الجديد الذي يلفتنا في رثاء إبراهيم جالو محمد، فنحن إذا أخذنا نتأمل في رثائه وجدناه يختلف عن الرثاء النيجيري القديم، خصوصا في رسم صفات الميت، من ذلك أنه في التأبين يذكر أوصاف الميت بشيء من الدقة، ويعرّفه بدل أن كان الرثاء من قبل مقصورا على أوصاف عامة مشتركة يمكن أن يوصف بها الميت المقصود وغيره.6

صور من ملامح التطور والتجديد في التأبين:

يقول الشاعر إبراهيم جالو محمد في تأبين الحاج محمد الخامس صديقه:

أخامس قد بذلت وقد وفيت	***	جزاك الله رب المحسنينا
وقد علمتك خامس كل جمع	***	بأنك منفق مالا ثمينا
وأنك صادق في كل وعد	***	نطقت به أمام السامعينا
وأنك فارس الميدان حقا	***	متى جمع المجامع منفقينا
وأنك منفق إن قيل أنفق	***	وأنك ناصح نصحا مبينا7

اهتم الشاعر في هذا التأبين بفضائل الفقيد النفسية،

فركز اهتمامه على ما قام به المرثى من إنفاق ماله الثمين في بناء شعائر الله من المساجد والمدارس ومراكز الدعوة والإرشاد، في زمن كان الناس في بخل وشح وبعد عن الإنفاق في سبيل الله إما خوفا من الفقر والضيق أو خوفا من التهمة بالإرهاب من قبل الحكومات، فصمم الفقيد على هذا الإنفاق حتى علم به المحتاجون فصار هدفا لهم، ومع كثرة المحتاجين المتوجهين إليه بالحاجات فإنه لا يخلف بالوعد بل إنه صادق في كل وعد، إلى أن وصفه الشاعر بالفارس في ميدان الإنفاق والوفاء بالعهد، فقد فاق جميع المنفقين في عصره فنال بذلك شرفا بينهم، وعلاوة على هذا أن الفقيد مصلح كبير وداعية فصيح ومرشد لبيب. وكان جديرا بأن يوصف بذلك، إذ إنه جمع بين العلم والتقوى، والإنفاق في سبيل الله إضافة إلى نصر الدين باللسان في الوعظ والإرشاد.

---

(4) - كبير آدم تدن نفاوا، المرجع نفسه، ص: 36

(5) - أحمد سعيد غلادنثي، مرجع سبق ذكره، ص:152

(6) -أحمد سعيد غلادنثي، مرجع سبق ذكره، ص:113

(7) - مساما، أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص:72

ولما أحب الشاعر إبراهيم جالو محمد تأبين الشيخ أبي بكر محمود جومي والإفصاح عن مكارم أخلاقه أعمل دقائق فكره فوصفه بما تميّز به من المكارم قائلا:

ذهب المحقق والتوجه بالمعا *** رف والعلوم تميزت درجاتها

كل أشاد بفضله وبعلمه *** نعم العلوم تكاثرت ثمراتها8

مما لا يدع للشك مجالا أن الشيخ أبابكر محمود جومي منذ أن كان تلميذا في المدرسة الابتدائية كان يسبق أقرانه في شتى المجالات مما جعله يفوز بتقدير العلماء وتشجيع إدارة المدرسة، ويحظى بإعجاب زملائه من التلاميذ.9 ومما يدل دلالة واضحة على تفوقه في الذكاء حتى صار متوّجا بتاج شرف المعارف والعلوم والثقافات، إضافة إلى الجوائز التقديرية الوطنية والعالمية التي فاز بها، ومن أهمها:

1- وسام الشرف من جامعة أحمد بلو عام 1965م.
2- وفي العام نفسه منحته جامعة إبدن الشهادة العالمية العالية للتقدير مثيلة للتي فاز بها في جامعة أحمد بلو.
3- ومنحه رئيس الوزراء أحمد بلو الوسام العثماني لخدمة الإسلام.
4- كما قدمت له الحكومة المصرية بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر وسام الشرف عام 1963م.
5- وشرّفته جامعة كامبرج في بريطانيا بشهادة المثقفين العالية. وذلك عام 1982م.
6- وآخر هذه الجوائز التي حازها وأكبرها قدرا هي جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1982م. وقد كان لهذه الجائزة أثر كبير على نفسية الشيخ أبي بكر محمود جومي مع أنه لم يكن على علم مسبق بحصوله عليها أو ترشيحه لها إلا بعد أن أذيعت في وسائل الإعلام العالمية، وكان يومئذ في زيارة إلى دولة النيجر الشقيقة.[10]

وواصل الشاعر في ذكر رفيعات فضائل الشيخ أبي بكر محمود جومي قائلا:

هي سنة المختار قد أحييتها *** وتناقصت في الناس مبتدعاتها

هي سنة ناصرتها ونشرتها *** في عصرنا حتى بدت طرقاتها

كالشمس بعد بزوغها وعلوها *** لا ينكرن ضياؤها وسراتها

ولئن رحلت وودّعتك ديارنا *** فليبقين من ذي العلوم حياتها

تبقى بقاء الشمس عمّ ضياؤها *** كل البلاد فلا تُرى ظلماتها

ألّفت خير مؤلفات كلها *** تحيي القلوب فلن تعود سباتها

ترجمت آيات الكتاب جميعها *** حتى تيسّر حفظها وثباتها[11]

ومما لا ريب فيه أن الشيخ أبا بكر محمود جومي قد تميّز من بين علماء عصره بالكتابة والتأليف، مع ما في مهنة الكتابة في أيامهم من الصعوبة، فقد بذل قصارى جهده في الإنتاج، ولعل من أهم ما تركه الشيخ من الآثار العلمية كما أشار إلى ذلك الشاعر في قوله: "ألفت خير مؤلفات كلها"، كتابه في تفسير القرآن الكريم المسمى بـ "رد الأذهان إلى معاني القرآن" الذي يعتبر المحاولة الأولى من نوعه في بلاد نيجيريا بعد بني فودي.

---

(8) - مساما، أبوبكر آدم، المرجع نفسه، ص:32

(9) - محمد المنصور إبراهيم، **الشيخ أبوبكر محمود جومي: حياته مواقفه وآراؤه**، بحث على مستوى الماجستير مقدم إلى كلية الآداب والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو، عام 2000م. ص:48

(10) - محمد المنصور إبراهيم، المرجع نفسه، ص:48

(11) - مساما، أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص:37

وهو كتاب تفسير القرآن الكريم، يقع في مجلدين مشى فيه على نحو تفسير الجلالين – جلال الدين السيوط وجلال الدين المحلى- فيفسر المفردات ويذكر مجمل المعاني وأسباب النزول، ويذكر الموضوع الرئيس الذي تدور حوله السورة في مجملها. ويعلق على القصص ويذكر الفوائد المستنبطة من الآيات، ويقلل من التعليلات اللغوية. وقد طبع هذا الكتاب أولا في بيروت على نفقة أحد المحسنين السعوديين – هو السيد أحمد باماعود وذلك سنة 1979م. ثم طبعه الرئيس النيجيري شيخو شاغاري ثم أعاد طباعته التاجر الحاج إبراهيم كنو. ثم طبعه رابعا الرئيس النيجيري إبراهيم بابن غدا، ثم الحاج آدم طن جوما الطبعة الخامسة، ولقد وجد هذا الكتاب قبولا بين طلبة العلم في نيجيريا ويطالعه عدد غير قليل من الذين يحضرون مجالس التفسير المختلفة في كثير من أرجاء البلاد في شهر رمضان المبارك.[12]

ولعل الغاية القصوى من هذا التفسير لا تتجاوز مضمون عنوانه أي رد أذهان الأمة إلى معاني القرآن الكريم ونبذ الإسرائيليات المنحرفة التي تكاد تعوق عن فهم معانيه الصحيحة ورسالته الميمونة.

وأسهب الشاعر في هذا التأبين لبيان ما تركه الفقيد من أثر خالد لن يضمحل دلالة على مجده ومكانته بين أمته قائلا:

أبشر وغرسك قد نمى ثم استوى	***	فبدا الثمار وعمنا نعماتها
ولئن توفي شيخنا علم الهدى	***	فجنانه قد أينعت ثمراتها
ولئن تغيب شيخنا وزعيمنا	***	فعلومه لن تذهبن لمعاتها
تبقى منافعها بقاء حياتنا	***	فينا تزين عصرنا بهجاتها
تبقى إلى أبد تنير بلادنا	***	لن يضمحل وجودها وحياتها

والحق أن الأبيات السابقة توحي إلى نخبة زكية من طلاب العلم المؤيدين للفقيد والمتحمسين لدعوته الذين يقتفون أثره في الدعوة والإرشاد على منهج أهل السنة والجماعة، وإلى أبرز الجمعيات الإسلامية التي شهدها الواقع النيجيري بعد وفاة اليد أحمد بلو سردون، بل إنها كبرى الجمعيات الإسلامية السلفية التي قامت في غرب إفريقيا في العصر الراهن، وهي (جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة)، أسست في نيجيريا ما بين عام 1978 و1979م.

تعتبر هذه الجمعية من أهم ما تركه الفقيد الشيخ أبوبكر محمود جومي من الآثار الباقية، وهي غنية عن التعريف، فقد عرفها كل من له أدنى صلة بالجمعيات الإسلامية النيجيرية في هذه الأيام، وظهر أثرها البيّن في داخل نيجيريا وخارجها، وأدرك فضلها الصديق والعدو. حملت على عاتقها الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك بأنواعه، وتسعى كذلك لإحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية، وفضل هذه الجماعة وأثرها الميمون في نيجيريا وما جاورها مما يشار إليه بالبنان ويذكر ولا ينكرن ويروى ولا يطوى.[13]

ولا شك أن هذا التصوير الدقيق لأوصاف الفقيد الشيخ أبي بكر محمود جومي الذي رسمه لنا الشاعر إبراهيم جالو في هذه الأبيات من ملامح التجديد والتطور في الرثاء العربي النيجيري، وأنه مما لا ينازع فيه اثنان أن هذا الوصف الدقيق يحمل في طياته صورة واضحة المعالم لما تركه الشيخ أبو بكر محمود جومي من الآثار، التي تدل

(12) - محمد المنصور إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص:41

(13) - محمد الحاج أبوبكر (الدكتور)، **العلاقة بين جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وبين الدعاة الخريجي في الجامعات الإسلامية المختلفة: الواقع والمأمول**، ورقة قدمت للمؤتمر الوطني الذي نظمه جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة بمدينة صكتو نيجيريا، التاريخ: من الجمعة إلى الأحد: 6-8 ربيع الأول 1434هـ/ الموافق: 18-2013/01/20م. ص:25

دلالة واضحة على مجده ومكانته بين الأمة الإسلامية النيجيرية، وتميزه بين علماء عصره. فكأن القصيدة لدقة الشاعر في رسم أوصاف الفقيد لا تصلح لرثاء أحد في هذه البلاد إلا هو.

والمألوف لدى الشعراء قبل القرن العشرين كما سبقت الإشارة إليه وصف الميت بأوصاف عامة مشتركة. وأصاب الشاعر إبراهيم جالو محمد في رسم صفات الفقيد المتميزة نتيجة لثقافته الواسعة، حيث أدرك أن النقاد عدوا من عيوب الرثاء التقصير في رسم صفات الميت حتى لا تصور ما كان له من مكانة ومجد، كما عيب الكميت في رثاءه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

وبورك قبر أنت فيه وبوركت *** به، وله أهل بذلك، يثرب

لقد غيبوا برا وحزما ونائلا *** عشية واراه الضريح المنصب[14]

فقد رأوا البيت الثاني معيبا، لا يصور مجد الرسول، عليه الصلاة والسلام ولا مكانته بين المسلمين وقومه. لذلك عدوا من أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيها، وقلة الصفات، وربما كان ذلك سببا في إخفاق الشاعر هذا نقل مباشر.[15]

والحقيقة أن الشاعر إبراهيم جالو محمد قد تفنن في الرثاء تفننا لم يعرفه شعر الرثاء العربي النيجيري قبل القرن العشرين، وقد تطور هذا الفن لديه تطورا ملموسا حتى خرج به عن دائرة الأشخاص إلى المدن، من ذلك رثاء المدن الضائعة والبكاء على جمالها الذاهب، كما سيظهر لنا في رثائه لمدينة "كابول"[16] بعد أن رأى ما حل بها من البؤس والتهويل والتشريد والتدمير.

ومن القضايا التي تهم المسلمين قضية الحرب الدائرة بين المجاهدين الأفغان، وبين الحكومة الشيوعية في "كابول". نشرت مجلة المدينة مقالا للأستاذ جلال الدين أحمد النوري تحت عنوان: "كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان"؟ رسم الكاتب في المقال كيف خططت الشيوعية لمحاربة المسلمين في عقر بلادهم على المدى البعيد بدأت الخطة بتظاهر الاتحاد السوفيتي وجعجعتهم بالدعوة إلى الحرية، والانتصار لها، والدفاع عنها، تلك الحرية التي يزعم أنه حاميها لشعوب شرق آسيا ومسلمي الخليج والعالم كله في تلك الأيام، وبهذا الأسلوب استولى الاتحاد السوفيتي على عقولهم، بل استعمر عقولهم قبل أن يستعمر أراضيهم، وخرب ديارهم وأفسد عليهم دينهم، والله المستعان.[17]

ولقد هب المسلمون الأفغان الذين لم تلوثهم الأفكار والمبادئ الشيوعية يدافعون عن دينهم وأعراضهم ضد الشيوعيين الذين أهلكوا الحرث والنسل وعاثوا في الأرض فسادا، فكانت معركتهم: معركة الإسلام ضد الجاهلية، ومعركة الإسلام ضد الكفر، ومعركة الإسلام ضد الباطل، إنها معركة المسلمين جميعا وليست معركة جماعة من الجماعات أو هيئة من الهيئات، وعلى هذا الأساس الديني من الوحدة والاعتصام بحبل الله المتين انتصر المجاهدين الأفغان على عدوهم في أول الأمر، وأرغموهم على الخروج من بلادهم وهم يجرون أذيال الهزيمة والفشل.

ثم حدثت خلافات وصراعات بين المجاهدين الأفغان أنفسهم، ودب الخلاف بين أهلها نتيجة للفرقة والانقسام، وهذه حقيقة لا ريب فيها ويعرفها أعداء الإسلام، وتحدثت عنها الصحف والجرائد والإذاعات شرقية كانت

---

(14) - ابن رشيق الحسن القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان، 2007م. ص :161

(15) - أحمد أحمد بدوي (الدكتور)، مرجع سبق ذكره، ص:235

(16) - قال ابن شداد: "كابول" مدينة قديمة معروفة في أفغانستان، وكانت قديما عاصمة سجستان وطخرستان، وهي اليوم عاصمة أفغانستان. وبها قبران زعم أنهما قبرا (روبين) و(شمعون). راجع: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، مصدر الكتاب: http://www.alwarraq.com ج:1. ص: 111

(17) - أحمد النوري (الأستاذ)، **كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان**، مجلة المدينة المنورة، العدد46. ص:214

أو غربية، وبلغ الأمر إلى حد يستحيل اجتماع كلمة المجاهدين على حزب من الأحزاب أو جماعة من الجامعات في أفغانستان وقد بذلوا محاولات من هذا القبيل ففشلوا، الأمر الذي مكن عدوهم من تدمير البلاد وسبي نسائها، وتأتيم أطفالها في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي، مما جعل الشاعر الدكتور إبراهيم جالو يبكي على هذه الديار بكاء حارا يصف للقارئ ما حل بها من خراب وتدمير بفعل هجمات قوات الغرب.

وقد قدم للفكرة الأولى من القصيدة بتوضيح عاطفته الدينية القوية النابعة من إحساسه بالألم والكمد يعصر قلبه بعد أن رأى ما حل بكابول عاصمة جمهورية أفغانستان من البؤس والتهويل والتدمير:

يا صاح هل من منجد ومساعد *** أو ناصر نصرا به تسهيل

أنا من تدهور وضعه وحياته *** وسطا عليه عدوه المجهول

يا لهفتى يا حسرتى من ذا البلا *** هز القلوب ولا أراه يزول[18]

فالمتتبع للأبيات السابقة يدرك الموسيقى الحزينة الباكية تظهر في كل بيت، وتؤكدها الألفاظ والعبارات التي استعان بها الشاعر في التعبير عن عواطفه وآلامه وأحزانه من مثل قوله: "يا لهفتى، يا حسرتى من ذا البلا" وقوله: "هز القلوب ولا أراه يزول"، إلى أن قال:

أعرضت عن طلب المعاش وكيف لي *** طلب المعاش وليس لي مأمول

كيف المعاش ولا معاش لإخوتي *** الأفغان إلا البؤس والتقتيل

انظر كيف استحكم على الشاعر الشعور العاطفي الإيماني الصادق وصنع صنيعه فيه فجعله ينسى جنسيته النيجيرية وهويته الكانورية الفلاتية فيتخيل أنه أفغاني في نسبه وعرقه، ويعلل على ذلك بأنه يشعر بشعورهم ويرضى برضاهم ويسخط بسخطهم ويسر بسرورهم ويحزن بحزنهم. فالقارئ المتتبع للأبيات السابقة يلمس عاطفة التحسر والانكسار والقلق واليأس وقد نزلت بالشاعر فجيعة تدمير مدينة كابول فأداه ذلك إلى تعطيل حواسيه وفقدان شعوره في طلب المعاش، بل حكم على الدنيا وكل ما اشتملت عليه من الجمل بالفشل أمامه ولا إرب له فيه. قد تحكمت عليه عاطفته الإيمانية وتملكت كيانه فتفجرت منه تلك العبارات المفسرة لما في طياته، فالعاطفة إذن هي ملاك الأدب لا سيما إذا كانت صادقة.

وبعد هذا التقديم الحزين الذي يدل على الأخوة الإسلامية الخالصة والعاطفة الإيمانية الصادقة، والبكاء الحار الذي يشعر بما في قلب الشاعر من هم وغم وحزن على ما أصاب المسلمين في كابول انتقل الشاعر إلى الفكرة الثانية التي هي عبارة عن توضيح حال كابول حيث توالت عليها غارات جوية مدمرة، وما طرأ فيها من جيش مدمر، وقنابل فتاكة، وفي هذا الجو من القصيدة يوضح الشاعر حال أهل كابول أصبحوا أذلة بعد عز، وعبيدا بعد أن كانوا ملوكا في ديارهم، فقد شتت العدو شملهم، وانتهك حرمتهم.

فاستمع إلى الشاعر يقول:

كابول كم قاسيت صوت بنادق *** وقذائف ألقى بهن عميل

كابول كم كابدت جرما مدهشا *** وطغى عليك عدوك المجهول

كم أمطرت ظلما عليك قذائف *** وقنابل فتاكة ونصول

وأقول كم شاهدت ظلما سافرا *** الله أكبر أمره مفعول

وأما الفكرة الثالثة فهي عبارة عن النصح والإرشاد، نبه الشاعر المجاهدين الأفغان على وجوب الصدق في القول والعمل، وعليهم كذلك أن يحذفوا من ألفاظهم: هذا عميل، وذاك يتاجر بالجهاد إلى غير ذلك، لا سيما إذا

(18) - مساما، أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص:50

كانت هذه الاتهامات توجه لأبرز قادة المجاهدين. والشاعر يفيدهم علما بأن إثارة الفرقة بينهم أشد سلاح يستخدمه أعداء الإسلام خطرا، وأشد الضربات التي يسددها العدو تلك الضربات الداخلية التي تجعل الصف الواحد عدة صفوف متخاصمة متحاربة.

واستمر الشاعر يبين للمجاهدين في أفغانستان أن العدو يرقص طربا ويتيه غرورا بسبب هذه الخلافات، ويحاول بذل كافة ما عنده من أجل ديمومتها واستمرارها، ولماذا لا يعقل هذا كله الشعب الأفغاني، ويؤكد الشاعر أنه لا خلاص لهم من هذا الهوان والذل إلا بالرجوع إلى المنهج الإسلامي الصحيح واتباع ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وإخلاص النية لله وحده، وتوحيد صفوفهم:

يا قادة الأفغان قوموا واعلموا *** بالعقل أم ما للرجال عقول
يا قادة الأفغان لو فكرتم *** حقا عرفتم حربكم لفضول
لو أن حالتكم غداة تحارب *** يرمى بها جبل لكاد يزول
فدعوا الخلاف فإن فيه خسارة *** وخذوا التي وصى بهن رسول
لا تقتلوا أولادكم ونسائكم *** واسعوا لهم هذا هو المعقول
إن الجهاد موجه نحو العدا *** لا من له الصلوات والترتيل

وفي المقطع الخير من الأبيات دعاء متواضع من الشاعر يسأل الله سبحانه وتعالى أن يصب علينا الأمن دائما وأبدا، وأن ينقذ إخواننا الشعب الأفغان من هذه الويلات، ويتوسل الشاعر في دعائه بالصلاة على خير خلق الله أجمعين، على منهج أهل السنة والجماعة في التوسل بعمل صالح، رجاء أن يتقبل الله منه الدعاء:

يا رب أنقذ شعبنا الأفغان يا ***من إنه دوما هو المأمول
ثم السلام على النبي محمد *** بعد الصلاة ومن إليه يميل
ألآل والصحب الكرم، وكلهم *** حقا بتعديل الإله عدول

ويظهر للقارئ جليا مما سبق ذكره أن هذا اللون من رثاء المدن جديد في الشعر العربي النيجيري، غير مألوف لدى الشاعر العربي النيجيري قبل القرن العشرين الميلادي، ولعل من أهم العوامل المؤثرة في هذا التجديد: تأثر الشاعر الشديد بالشعراء البغداديين في القرن الثاني الهجري، أمثال الخريمي صاحب أطول قصائد الرثاء في الشعر العربي كله، وهي قصيدته في رثاء بغداد، وقد روي منها مائة وخمسة وثلاثون بيتا.[19]

وتأثره أيضا بالشعراء الأندلسيين، فقد كانوا طوال فترة الحرب الإسلامية المسيحية التي دارت رحاها في جزيرة الأندلس يعبئون الجهود، ويشحذون العزائم، وهم يرثون المدن الضائعة، ويبكون على جمالها الذاهب، وقد أشار أحد الباحثين إلى هذا المعنى في قوله: "ولم تسقط مدينة في يد مسيحي الشمال إلا بكوها، وتفجعوا عليها تفجعا حارا، وهو تفجع كانوا يضمنونه استصراخا للمسلمين في مغارب الأرض ومشارقها لعلهم يستنقذون تلك المدن من براثن الأسبان، ويستعدونها إلى حظيرة الإسلام قبل أن تدك هناك كل صروحه، وتسقط كل راياته وأعلامه".[20] ومن أبرزهم أبو البقاء الرندي صاحب القصيدة النونية المشهورة في رثاء الأندلس بكاملها بعد أن أحس بقرب زوال حكم المسلمين لها نتيجة لتفككهم وانقسامهم، والتي يقول فيها:

(19) - هدارة محمد مصطفى، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية بلا تاريخ. ص:44

(20) - محمد غمبو حمزة، **المقاومة في الشعر الأندلسي: دراسة تحليلية نقدية**، (مالم) مجلة الدراسات اللغوية، العدد السادس فبراير 2006م/محرم 1428هـ يصدرها قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو-نيجيريا. ص:102

لكل شيء إذا ما تم نقصان *** فلا يغر بطيب العيش إنسان[21]

وأما من ناحية الأسلوب فلعل أول خلاف يقع بين الأسلوب القديم والحديث الجديد هو الخلاف على مادة اللغة نفسها وهي الألفاظ، فاللغة القديمة كانت تعتمد على ألفاظ وحشية جزلة قوية الرنين وكان الشعراء القدامى في نيجيريا يصطنعون هذه اللغة في قصائدهم لأسباب منها:

الأول- إبراز الشاعر ذخيرته اللغوية وتضلعه في اللغة العربية.

الثاني- محاولة الشاعر لجعل هذه الكلمات الغريبة في متناول طلبة العلم لكي يتسنى لهم معرفتها وفهمها وبذلك تزداد ذخيرتهم اللغوية أيضا".[22]

ولما كان الشاعر إبراهيم جالو محمد من الشعراء النيجيريين المعاصرين المجددين الذين يحرصون على أن تكون لغة شعرهم لغة الحياة اليومية، فإنه لم يكن مضطرا إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة الشائعة في مجتمعه، بل إنه تطرق إلى مرحلة جديدة عن طريق محاولة الاقتراب بلغة الشعر من النثرية، حيث نجده يكرر عبارات النداء وغيرها مما يشعر بالنثرية في بعض مراثيه كما هو ظاهر في قوله:

يا صاح مالي للهدوء سبيل *** أو للقلاقل والهموم بديل

يا صاح إني متعب لا حولا لي *** بل غارق في الحزن بل مثلول

يا صاح قد أصبحت شخصا ثاقلا *** ما كنت معفى إنني معلول

يا صاح هل من منجد ومساعد *** أو ناصر نصرا به تسهيل

وهو يأخذ في تكرار النداء في أربعة أبيات متتالية، كما تكررت لفظة "كابول" و "كم" الخبرية في أربعة أبيات أخرى متتالية أيضا في نفس القصيدة وذلك عند قوله:

كابول كم من غارة جوية *** عانيتها دهرا وأنت ثكول

كابول كم عانيت جيشا باغتا *** ومدمرا للأرض حين يصول

كابول كم قاسيت صوت بنادق *** وقذائف ألقى بهن عميل

كابول كم كابدت جرما مدهشا *** وطغى عليك عدوك المجهول

ومهما يكن الأمر من شيء فإن هذا الأسلوب يدل دلالة واضحة على ميل الشاعر إلى استخدام لغة شعرية سهلة الألفاظ والتراكيب لتناسب لغة الحياة اليومية. وقد سئل السيد الحميري: مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء؟ فقال: لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من أن أقول شيئا متعقدا تضل فيه الأوهام".[23]

الخاتمة.

هذا البحث عبارة عن دراسة أدبية تحليلية تهدف إلى إلقاء الضوء على صور من العناصر التجديدية في مراثي الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو، فالرجاء أن يكون البحث قد شمل عنوانه واحتواه، وقد اجتهد المقال في جمع أهم ما يتعلق بموضوع الدراسة انطلاقا من نبذة تاريخية عن حياة الشاعر، والحديث عن صور من شعر الرثاء

(21) - رمضان سعد القماطي وأصحابه، **الأدب والنصوص والبلاغة والنقد**، ج:2 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مكتب الإعلام والبحوث والنشر، الطبعة الثالثة 2001م. ص: 136

(22) - أحمد سعيد غلادنثي، مرجع سبق ذكره، ص:112

(23) - هدارة، محمد مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص:553

في الأدب العربي النيجيري القديم، ثم صور من العناصر التجديدية في مراثي الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو، ثم الخاتمة وتقفوها قائمة المراجع.

وقد توصل المقال بعد العرض والدراسة إلى النتائج الآتية:

1- إن الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنغو من فحول الشعر العربي النيجيري المعاصر وأقطابه الكبرى، وممن كتب لهم التوفيق في مجال التجديد فيه.

2- يعد فن الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي النيجيري القديم والتي كانت موجودة فيه قبل القرن العشرين الميلادي ولكن دخلتها في شعر إبراهيم جالو محمد اتجاهات جديدة ومؤثرات جعلتها تتطور تطورا ظاهرا.

3- ومن العناصر التجديدية التي تطرق إليها الشاعر إبراهيم جالو محمد في مراثيه ما يلي:

- أنه في البكاء يكثر الحزن وإراقة الدموع والإطالة فيه لفقد الميت، ولم تكن الحال في الغالب كذلك في الماضي.
- أنه في التأبين يذكر أوصاف الميت بشيء من الدقة ويعرف به. وقد كان الرثاء النيجيري من قبل مقصورا على أوصاف عامة مشتركة، يمكن أن توصف بها الميت المقصود أو غيره.
- أن الشاعر إبراهيم جالو محمد قد تفنن في الرثاء تفننا لم يعرفه شعر الرثاء العربي النيجيري قبل القرن العشرين الميلادي، واتجه به اتجاهات جديدة حتى خرج به عن دائرة الأشخاص إلى آفاق أخرى كالمدن والممالك الزائلة.
- وأما عن الأسلوب فإن الشاعر إبراهيم جالو لم يكن مضطرا إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة الشائعة في مجتمعه، بل تطرّق إلى لغة شعرية سهلة الألفاظ والتراكيب.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن رشيق الحسن القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان، 2007م.
- ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، مصدر الكتاب: http://www.alwarraq.com ج:1.
- أحمد أحمد بدوي (الدكتور)، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، مكتبة دار النهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة القاهرة، بلا تاريخ.
- أحمد النوري (الأستاذ)، **كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان**، مجلة المدينة المنورة، العدد46.
- أحمد سعيد غلادنثي، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، دار المعارف مصر، 1982.
- بابكر قدر ماري (الدكتور)، **شعر الرثاء في سكوتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، دار الأمة للنشر والتوزيع كنو – نيجيريا، 2010م.
- رمضان سعد القماطي وأصحابه، **الأدب والنصوص والبلاغة والنقد**، ج:2 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مكتب الإعلام والبحوث والنشر، الطبعة الثالثة 2001م.
- كبير آدم تدن نفاوا، **المدخل إلى الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر الميلادي**، دار الأمة الطبعة الثانية، 1432هـ/2011م.
- محمد الحاج أبوبكر (الدكتور)، **العلاقة بين جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وبين الدعاة الخريجي في الجامعات الإسلامية المختلفة: الواقع والمأمول**، ورقة قدمت للمؤتمر الوطني الذي نظمه جماعة إزالة البدعة

وإقامة السنة بمدينة صكتو نيجيريا، التاريخ: من الجمعة إلى الأحد: 6-8 ربيع الأول 1434هـ/ الموافق: 18-2013/01/20م.

- محمد المنصور إبراهيم، **الشيخ أبوبكر محمود جومي: حياته مواقفه وآراؤه**، بحث على مستوى الماجستير مقدم إلى كلية الآداب والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو، عام 2000م.
- محمد غمبو حمزة، **المقاومة في الشعر الأندلسي: دراسة تحليلية نقدية**، (مالم) مجلة الدراسات اللغوية، العدد السادس فبراير 2006م/محرم 1428هـ يصدرها قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو-نيجيريا.
- مساما أبوبكر آدم (الدكتور)، **الدكتور إبراهيم جالو محمد جالنغو وديوانه لسان الشعب**، مطبعة millennium printing technology, emir yahaya sokoto، الطبعة الثانية 2017.
- هدارة محمد مصطفى، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية بلا تاريخ.